مظاهر النشاط الادبي

لمحة نقدية

بقلم فؤاد افرام البستاني

عموديات

ينقضي الموسم ، ولا ينقضي جناه . وينفى النغم ، ويظلّ صداه العذب على تردّد في آذان المعجبين .

ذكرت هذا ، وقد تناولت مؤخرًا عن دمشق كتاب « اوج التحرّي عن حيثية ابي العلاء المعرّي »ليوسف البديعي ،فكان حلقةً اخيرة من تلك السلسلة العلائية المتتابعة منذ ان احتفل ادباء العربية ، سنة ١٩٤٤ ، بمرور الف سنة على مولد ضرير المعرّة . فظهر فيها السفر الاول من آثار ابي العلاء المعرّي ، بعنوان « تعريف القدماء بابي العلاء » ، مطبوعاً في القاهرة سنة ١٩٤٤ ، باشراف الدكتور طه حسين ؛ ثم « رسالة الملائكة » للمعرّي بتحقيق محمد سليم الجندي ، في مطبوعات المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٤٤ ؛ ثم « المهرجان الالفي لابي العلاء المعرّي » في المطبوعات نفسها ، سنة ١٩٤٥ ، جمع وصف المهرجان الذي اقامه المجمع العلمي الدمشقي ، وما قيل فيه من القصائد والخطب . ثم عدد من الرسائل والابحاث لعلّ اطرفها « زوبعة الدهور » لمارون عبود في منشورات « المكشوف » ، بيروت ، ١٩٤٥ . واخيرًا هذا الكتاب الذي خصّه يوسف البديعي ، من ادباء القرن السابع عشر ، بـ « رهن المحبسين »[1] ، أخرجه في مجموعة النصوص الشرقية من منشورات المعهد الفرنسي بدمشق ، الاستاذ ابراهيم الكيلاني ، اخذًا عن مخطوطة فريدة في المكتبة الظاهرية ، وصفها واشار

---

١) أوج التحرّي عن حيثية ابي العلاء المعرّي . تأليف يوسف البديعي . نشره ابراهيم الكيلاني في منشورات المعهد الافرنسي بدمشق : مجموعة النصوص الشرقية : الجزء الرابع ، دمشق ، ١٩٤٦ ، ص ٢٢ + ١٧٦ بقطع وسط .

الى ميزات كاتبها في اسلوبه وانشائه.

وقد قدّم عليه الاستاذ سليم الجندي مقدمة جامعة لخص فيها مضامين الكتاب، مدوّناً ما يستنتج منها عن ابي العلاء من انه « ذكيٌ تقيٌ أبيٌ شاعرٌ عالمٌ زاهدٌ . . . » (ص : ج)، آخذاً على البديعي اعراضه عن « البحث عن نفسية الشاعر وفلسفته واغراضه في شعره ودرجة ثقافته الواسعة ومصادرها وعلاقة آثاره بحياته العلمية والعملية وعن آرائه في الحياة والمذاهب والنحل والنسل والمرأة وما شاكل ذلك . . . »، ناقياً ما يذكره البديعي من ان ابا العلاء رحل الى طرابلس وانطاكية واللاذقية، حاملاً على من اقرّ صحة هذه الرحلات، مثبتاً رحلته الى بغداد فقط.

على ان ابرز ما يهمّ الاستاذ الجندي هو ان يعيد ابا العلاء الى حظيرة الايمان، فيشكر للبديعي انه «احسن الانتصار لابي العلاء ووفق في الدفاع عنه» ويشدّد النكير على من رماه بالزندقة والكفر والالحاد والتعطيل والسحر (كذا) ومعارضة القرآن، والاستخفاف بالنبوّات. ولم يكن ذلك الّا حسداً وسوء ظن، ولله ابو الطيب حيث يقول: اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه (ص : ك.)

ويرى الاستاذ ان الذي وصل الينا من آثار ابي العلاء «مغمور بالشعور الديني طافح بالادلة على ايمان ابي العلاء وصحة عقيدته. وليس ما زُعم انه عارض به القرآن من المعارضة في شيء. انما هو تمجيدٌ لله!» (ص : ك.)

واما ما في اللزوميات من ابيات لا تتفق وصحة العقيدة ودوام التقوى — ولا ننسَ «ان ابا العلاء كان يصوم الدهر ولم يفارق الصلاة حتى فارقته الحياة» — فهو مدسوس على الشاعر، دون شك «فلا يؤاخذ به». وهكذا ينتهي ابو العلاء، بعد تطوافه بين العقائد المتباينة مدة الف سنة، الى راحة الجنة «التي وُعد بها المتقون». فتتحقق له على اكمل وجه، «رسالة الغفران» التي لم يأتِ على ذكرها الاستاذ الجندي في تخريج ما قد يشكك فيه من آثار المعرّي. ولعله يعتبرها من الاعمال التقوية التي يقصد بها تمجيد الله!

الّا انّ هناك بيتاً واحداً يقضّ مضجع الاستاذ في «تطويبه» المعرّي، وهو قوله:

تحطّمنا الايام حتى كأننـا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبكُ

بيد ان تأويله في متناول اليد ، اذا « لم نضف اليه المكابرة والتمرد » « لانه يريد لا يعاد لنا سبك في الدنيا لا في الاخرة ، لان الزجـاج لا يعاد سبكه فيها » (ص : ل)

قلنا : أوَ لا يرى الاستاذ الجندي ، بعد كل هذا ، ان ابا العلاء جدير « بالقرضية » نكفّر بها عما نعته به السلف حسدًا وافتراء من نعوت الكفر والالحاد و « الخمرنة » — كما في قول ياقوت — فنعوّد الناشئة ، اذا مـا ذكرت اسمه ، ان تردفه بالقول « رضي الله عنه ونفعنا بعلمه وتقواه » !

ولنعد الى البديعي فنجد ان اثره جليل القيمـة ، على ضعف تأليفه ، وتفاوت اسلوبه . وهو في عصر زال فيه الابتكار[1] ، وتكاثفت ظلمات الانحطاط ، ولم يبقَ للمؤلف الا الاختيار والجمع . وقد جمـع البديعي عن ابي العلاء فاوعى ، وذكر معلومات دقيقة عن حياته ومآتيه ، ونماذج صالحة من آثاره الشعرية والنثرية ، منها المعروف المتداول ، ومنها النادر النفيس ، ومنها غير المعروف في زمننا ككتاب « الالغاز » اورد منه للمؤلف اثنـين وعشرين بيتًا في النعامة والنجم والثريا والكعبة . . . فكان له فضل الدلالة عليه ، وللاستاذ الكيلاني فضل اخراجه بالطبع ، وخدمته خدمة نقدية بالغة في التقديم والتعليق والتحشية والعرض والفهرسة .

محاضرات

ومن محصولات سورية في هذه الايام ثلاث محاضرات القاها ، في حلب ، الاب متوديوس زهيراتي[2] ، امين سر المـدارس الكاثوليكية السورية ، حول مشكلة التعليم الخاص في سورية .

جال في الاولى منها في حقوق المدارس الخاصة وواجباتها تجاه الحكومة . وانتقد في الثانية البرامج والكتب الجديدة . وخصّ الثالثة بالتعليم الحرّ في

١) توفي البديعي سنة ١٦٦٢

٢) لجنة المدارس الكاثوليكية السورية ، حلب ، ٥٤ ص . متوسطة ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٦٢ .

العالم المتمدن . ألقيت هذه المحاضرات في حقبة يضطرب فيها العالم السوري في تطبيق برامج جديدة اقلّ ما يقال فيها انها جاءت ثمرة التسرّع والاندفاع ، فظهر منذ السنة الاولى، ان نتائج تطبيقها لا تبعث على الاطمئنان الى مستقبل الثقافة السورية .

اما التعليم الحرّ فقد ضمنه الدستور السوري ضمانته حرية الاديان . على انّ واقع الحال كثيراً ما يقسر النصوص على اطاعة الرغبات والشهوات ، ولاسيما عندما تطغى الفكرة الخاطئة بجعل الفرد في سبيل الدولة ، وما كانت الدولة ولا غيرها من المؤسسات الاجتماعية والسياسية والادارية الا ادوات ووسائل غايتها القصوى مساعدة الانسان في استكمال انسانيته .

نستفيد من المحاضرات الثلاث معلومات قيمة عن التعليم في سورية خاصاً وعاماً ، كما نستفيد عناصر وافرة للمقابلة بين التعليم الحرّ في سورية اليوم ، وفي غيرها من بلاد الله على عصور متفاوتة ، كهولندة وانكلترة ، واقتراحات وجيهة في ما يجب عمله للوصول الى المساواة بين التعليم الرسمي والتعليم الخاص.»

كل ذلك معروض باسلوب واضح واعٍ ، مستند الى بعد نظر في الاستنتاج ، وجرأة بصيرة في عرض المشاكل ونقدها ، وعمق في المناظرة والمناقشة . وهو ما يجعل المحاضرات تتجاوز في فائدتها وواقعيتها حدود الدولة السورية ، واحرِ بجميع المشتغلين في اعداد مناهج التربية ودرس البرامج التعليمية في دول الشرق الادنى ان يطلعوا عليها ويقتبسوا منها اشياء واشياء.

❧

وما دمنا في فنّ المحاضرات ، فلنشر الى المجموعة الثانية من « محاضرات الندوة اللبنانية» الظاهرة مؤخراً في بيروت[1] . والندوة اللبنانية مؤسسة ثقافية انشأها في بيروت الاستاذ ميشال اسمر، وقصد في انشائها تمكين المثقف البيروتي من السماع الى اشهر رجال العلم والادب في لبنان يحاضرون ، كل في موضوع اختصاصه، على دور السنة . وقد نظم سلسلته الاولى من خمس واربعين محاضرة في اهمّ مظاهر الادب والفن والتاريخ والاجتماعيات ، مع النظر في دساتير البلاد

(١) المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٢ ، في ٨٦ صفحة متوسطة .

العربية المجاورة . وارصد هذه الشرة لتعميم اهم المحاضرات ، مظهراً منها حتى اليوم بمجموعتين تناولت الاولى ثلاث محاضرات موضوعاتها : « رسالتي كنائب » للاستاذ كمال جنبلاط ، « لبنان في ما قبل التاريخ » لكاتب هذه السطور ، و« الحركة اللغوية في لبنان في الصدر الاول من القرن العشرين » للاستاذ امين نخلة . وخصت الشرة الثانية ، باربع محاضرات واحدة منها بالفرنسية للرئيس الفرد نقاش ، جال فيها جولة جد موفقة في « المشكلة الدستورية في لبنان » . وثلاث بالعربية موضوعاتها « الابجدية الفنيقية وانتشارها » للامير موريس شهاب ، و« الصحافة في لبنان في مطلع القرن العشرين » للشيخ فؤاد حبيش ، و « القصة والتمثيل في لبنان في مطلع القرن العشرين » للاستاذ رئيف خوري .

دقق الامير موريس شهاب في الفرق بين الكتابة الابجدية وما كان معروفاً قبلها من كتابات تصويرية ومسمارية كانت قاصرة عن التعبير عن المعقولات ، عاجزة عن كل عمل تجريدي من شأنه ان يقود الى العلم الصحيح المبني على التعميمات فعلى النواميس العامة . « لذلك اقدم الفنيقي على ما لم يجرؤ ان يقدم عليه غيره . أقدم كالكيماوي على تحليل نبرات الصوت ، فاتخذ منها ابسط مركباتها وانشأ رموزاً لهذه المركبات ، حصرها في اثنتين وعشرين نبرة لا غير ، فعبر عن كل ما في اللغة من الرنات . ومما يثبت لنا حسن الطريقة الفنيقية هو ان هذا العدد بقي على ما كان عليه منذ آلاف السنين . فلم ترَ الانسانية من حاجة الى زيادته . ولم يضف اليه ، رغم مرور الازمان وتعدد لغات الشعوب التي اقتبست الابجدية الفنيقية ، سوى عدد قليل من الاحرف لا يتجاوز اصابع اليد »

وتتبع الامير المحاضر انتشار هذه الابجدية في العالم الغربي اولاً من الشواطئ الفنيقية الى بلاد اليونان والطروادين ، الى سواحل افريقية الشمالية ، الى صقلية وايطالية ، الى البالبار واسبانية ، الى ما وراء الهرقليات . وتتبعها شرقاً الى مملكتي اسرائيل ويهوذا في فلسطين ، الى مملكة ارام في دمشق وما وراءها . وهكذا « زى الابجدية الفنيقية في القرن التاسع قبل الميلاد منتشرة من شواطىء البحر الاطلسي الى ضفاف الفرات وحدود البادية . »

فندرك « ما للفنيقيين من فضل على العالم » .

اما نصيب الصحافة فكان بحثاً طريفاً لصاحب «المكشوف» عرض فيه لتاريخ الصحافة، وتحديد ما كانت عليه عندما كانت اداة ثقافة نافعة، وما صارت اليه في عصرنا، عصر السرعة، حتى صح فيها وصف ادريان هبرار، احد اصحاب جريدة « الطان » ، اذ قال : « يجب ان يُفكّر فيها وتُكتب وتُنقد وتطبع وتقرأ ويُحفظ مضمونها ويُنسى في النهار نفسه » . وتناول المحاضر المراقبة على الصحف بالتهكم اللاذع كما تناول التعطيل الاداري بالشجب الحاسم، خاتماً بقول دجيفرسن : « نفضل لبلادنا صحافة بلا حكومة على حكومة بلا صحافة . » [1]

منشورات تعليمية

ومما يلحظه مراقب النشاط الادبي في لبنان اليوم اقبالٌ واسع على نشر الكتب التعليمية، من الدروس الابتدائية حتى الفلسفية. وآخر ما وصلنا من ذلك « اخوان الصفا. » [2] وهو « درس تحليلي لفلسفتهم مذيّل بمنتخبات من رسائلهم » من قلم الاب يوحنا الفاخوري اليسوعي، استاذ الاداب والفلسفة العربية في المدرسة اليسوعية في حريصا . وقد وفق المؤلف ، والحق يقال، الى اظهار الميزات الخاصة بهذه الفلسفة الانتخابية التي كان تأثيرها العملي في

---

١) بعد كتابة ما تقدم، ظهرت النشرتان الثالثة والرابعة من «محاضرات الندوة» وقد تضمنتا :

النشرة الثالثة : ثلاث محاضرات (٧٨ ص . متوسطة) :

الاساس الفلسفي واللاهوتي المحتوم في نحتة لبنانية ، للاستاذ سعيد عقل .

تاريخ المملكة العربية السعودية واوضاعها الدستورية ، للاستاذ يوسف يزبك .

تاريخ الحضارة الفنيقية واشعاعها ، للسيد عزيز غازي (بالفرنسوية) .

النشرة الرابعة : ثلاث محاضرات (٥٢ ص . متوسطة) :

فلسطين في معترك السياسة العالمية ، للاستاذ نجيب صدقه .

الشعر في لبنان في مطلع القرن العشرين ، للاستاذ صلاح لبكي .

لبنان في مهبّ مقدراته ، للاستاذ شارل عمون (بالفرنسوية) .

٢) سلسلة « فلاسفة العرب » : ٢ ، مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٦٧ ، في ٦٦ ص . متوسطة .

تعميم عادة التفكير اوفر من قيمتها الفكرية الاصلية ، بعد ان قدّم كلمة في ماهية الجمعية وغايتها ومرامي اعضائها ، وعدد رسائلها وانتشارهـا ، وموضوعهـا ومضامينها ، ومصادرها المتنوعة ، وفق في ذلك لاستناده الى اسلوب علمي صحيح في الدرس والمناقشة ، ولاستقائه المواد من مظانها الاصلية ، اي الرسائل نفسها ، لا مما قيل فيها وحولها ، فجاء عمله مفيداً نافعاً .

وكان بودنا ان نقول القول نفسه عن عدد من النشرات التعليمية في مختلف المواد تظهر حيناً بعد حين . الا انها في مجملها بعيدة عن الروح التعليميـة والاسلوب التربوي ، لما يعوزها من تحقيق علمي ، وتدقيق في البحث ، وتحفظ في الاحكام ، ولما يشوبها على الغالب من اندفاع صحفي خطابي .

ذكريات

رحم الله من قال :

« والذكريات صدى السنين الخاكي ! »

فلنسمع اذاً لغتنا العربية ترجع اليوم صدى مائة من هذه السنين تحكي تطوراتها ، منذ مولد امامها الاكبر ، وابنها الابرّ ، وخادمها الغيور ، الساهر بعين يقظى على حفظها وانمائها ، ورعايتهـا في السير نحو التعبير العصري الى جنب لغات الثقافة الانسانيـة ، الا وهو ابراهيم بن الشيخ ناصيف اليازجي . ولد الشيخ في بيروت في الثاني من اذار سنة ١٨١٧ . وما هو ان دخلت السنة الحالية حتى اخذت الاوساط الادبية في لبنان ، وخارج لبنان ، تتحفز للاحتفال بالذكرى المئوية استعادةً لشخصية اليازجي الكبيرة ، واعتباراً باثره البعيد في نهضتنا الحديثة . وكان من نصيب مجلة « المسرة » الصادرة في حريصا ، ان تكون السابقة الى نشر بعض الدروس اليازجية في عدد ممتـاز ظهر في ايار ، خاصاً بذكرى الشيخ[1] ، محتوياً على عشرة ابحاث في حياته ، وفي مختلف مظاهر نشاطه العلمي واللغوي ، وعلى قصيدتين عاطفيتين ، وشذرات من اقواله وآرائه .

اما الابحاث فقد بدأت بوصف سريع لكاتب هذه السطور ، ألمّ فيـه

١) مطبعة القديس بولس ، حريصا ، لبنان ، ٨٠ ص . متوسطة .

بمظاهر النهضة اللبنانية في منتصف القرن الماضي ، زمن نشأة الشيخ ابراهيم ، اذكان لبنان باسره يختمر بنهضة فكرية شاملة ، في مدنه وقراه ، في مدارسه وديورته ، في مطابعه واندیته وبیوت معلیه . فتتعدّد مراكز الاشعاع الثقافي في بيروت خاصة ، من زقاق البلاط ، وفيه منزل الشيخ ناصيف اليازجي ومدرسة المعلم بطرس البستاني ، ومقرّ الارسالية الاميركية ، الى حيّ الصيفي ، وفيه مقرّ الرسالة اليسوعية الاولى ، ومركز مطبعتهم ، الى حيّ مار مارون ، وفيه منزل مارون النقاش ، والد المسرح العربي . وتتكاثر الكتب المنشورة في جميع مناحي الفكر ، من اللاهوت والفلسفة الى انواع العلم الحديث ، الى اللغة في قواعدها وفنونها ، الى الشعر والادب ، الى القصص والروايات . في هذا الجوّ العابق بالشعر المتسامي ، المختمر بالتأمل المتتابع والتفكير الرصين ، المشعّ ببوارق البراهين في المجادلات ، نشأ ابراهيم بن ناصيف بن عبدالله اليازجي .

اما اصل اسرته ، فقد تولى الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف مهمّة الجلاء عنه . فجزم بانها حورانيـة المنشأ ، تفرّق افرادها في جهات حمص ، وحصن الاكراد ، وامّ فريق منهم لبنان في اواخر القرن السابع عشر ، ونزلوا الساحل الغربي من الشويفات الى كفرشيما الى بطشيه . وفي لبنان انتقلوا من المذهب الارثوذكسي الى الكاثوليكي . وظلوا عليه . واما اخلاق الشيخ وصفاتـه فقـد ألمّ ببعضها الاستاذ المعلوف نفسه ، وتوسع في البعض الآخر الپيكونت فيليب دي طرازي مستعيدًا « ذكرياته اليازجية » منذ ٧٦ سنة ، بادئاً بأتم الشيخ ناصيف سنة ١٨٧١ ، والپيكونت ، اذ ذاك على مقاعد المدرسة ، يشارك سائر التلامذة في تشييع الراحل الكبير ، « وكلٌ منهم يحمل بين يديه كتاباً من تآليف الشيخ » ؛ منتقلًا الى ذكر اساتذته من الاسرة اليازجيـة ، خاصًا الشيخ ابراهيم بمعلومات عن مواهبه التصويرية الفنية ، عارضاً ثلاث لوحات بريشته صور في الاولى نفسه ، وهو جالس امام المرآة ، وفي الثانية اخته الشاعرة وردة ، وفي الثالثة الدكتور يوسف الخازن . واللوحات الثلاث في معرض دار الكتب الكبرى في بيروت . ويزور الپيكونت الشيخ ابراهيم في مصيفه ، فيصف لنا قرية « شويت » الهادئة ، البعيدة عن صخب المصايف ، وضجيج المدن . ويمثل

لنا الشيخ ، وقد فوجئ احد الايام « مفاجأه عذبة » بزيارة عدد من اصدقائه وسريديه منهم الثيكونت، والشيخ ابراهيم الحوراني ، والشيخ عبدالله البستاني ، والشيخ اسكندر العازار ، والدكتور اسكندر البارودي ، والاستاذان جبور سعد وحبيب الجارة ، فيستقبلهم في فناء بيته المظلل باشجار السنديان والصنوبر « حيث كان يدخن النارجيلة ويتناول الطعام » .

ويخص الاستاذ عارف بك نكد قسماً من بحثه باخلاق اليازجي مفصلاً بعض خلاله . واذا به ، كما يظهر من ابحاث الاساتذة الثلاثة المذكورين ، على كثير من « الشمم والاباء ، وعزة النفس ، والاخلاص لصحابته وذوي قرابته . » يترفع عن اكبر المناصب في زمنه وبيئته . « على ان الشيخ كان في انتقاداته ومناظراته شديداً عنيفاً ، حتى كان يتعداها احياناً الى المباترات والمطاعن الشخصية . وهو مما يؤخذ على مثله كثيراً . وحمله هذا الاباء على مخاصمة كثيرين ، مخاصمة كان في غنى عنها . وكان ، الى جانب ذلك ، حلو الحديث ، لطيف المشر ، ظريف النكتة » ، مخلصاً في كل ما يعمل ، مندفعاً في اتقان كل ما يباشر . وعلى الجملة يرى الكاتب ان « عظمة اليازجي في انه صاحب رسالة آمن بها ، فأعطاها نفسه ، ووقف لها حياته ، عاملاً مخلصاً ، غير مغير ولا مبدل ، كذلك كان في الشام ايام شبابه ، وكذلك كان في مصر ايام كهولته ، وهو رجل ما استهوته المناصب وقد عُرضت عليه ، ولا هفت نفسه الى ثروة وقد امكنته الايام منها . »

وقد تجلى نشاط اليازجي في اللغة اولاً . وهو ما اشار اليه الاستاذ النكدي في المقال نفسه ، دالاً على ان الشيخ اصاب موضع الداء في تشخيصه مرض العربية ، واحسن وصف الدواء . اما الداء فادعى مظاهره الى القلق والايجاس هذا التفاوت الذي نراه بين لغة الكتابة ولغة التخاطب حتى اصبحت اللغة اليوم وكأنها « لغة قوم آخرين ، لذهابها عن الالسنة من عهد عبيد ، وايداعها بين الواح من المصاحف لا تبدي ولا تعيد ... وان اللفظ انما وضع ليكون مسموعاً لا منظوراً ، واشخاصه انما هي الاصوات الناطقة لا الرسوم الصامتة . فكيف يتأتى لهذه المناجيات السرية ان تتغلب على المناغيات

الجمرية ، مع تواترها على حواسه : في المعاشرات اليومية ، والمحادثات البيتية . . .

« قلنا وبهذا يتميز كتاب الاعاجم على كتابنا . فان الكاتب منهم لا يتكلف في الالفاظ والتراكيب صوراً غير ما يجري به لسانه في المخاطبات المألوفة . فالمترسل منهم والخطيب والكاتب والامي والشيخ والغلام ، له لغة واحدة لا تتفاوت الا في المعاني ووجوه الخطاب وسائر القوالب اللفظية واحدة لا تتغير الا على جهة التأنق وطلب الايجاز والاطناب . . . .

« وابن ذلك من حال الكتاب في لغتنا . . . حتى ان الكاتب منا بهذه اللغة لا يكاد يتميز عن الاجنبي فيها ، لبعدها عن لهجته ، وتناوله اياها بعد استحكام اللغة العامية منه ، وتمزز ملكتها فيه . »

واما الدواء فيراه الشيخ في تأليف لجنة من ذوي البصائر السليمة ، والعلم الصحيح ، تتولى كتب النحو بمثل ما فعل مؤلفو مجلة الاحكام العدلية في الكتب الشرعية ، فيختارون من كل قاعدة اصح الاقوال فيها وامثلها ، لتكون مرجعاً لطلاب هذه الصناعة ، وتنبذ بقية الاقوال الساقطة والمذاهب المرجوحة » . ويفعل كذلك بكتب متن اللغة . . .

هذا وصف العلاج ، وقد مرّ عليه نصف قرن ، ولم يتكلف احد تطبيقه . . . اللهم ما كان من مساع للشيخ نفسه في تقويم المعوج من لغة الجرائد ، واصلاح الفاسد من تعابير الكتّاب ، مما افاض بذكره الاب يوحنا الفاخوري في درس سماه « الشيخ ابراهيم اليازجي إمام اللغة العربية » ومثّل فيه على تدقيق الشيخ في اصول اللغة ومدلولات صيغها وتسلسل المعاني في مشتقاتها ، مع التلميح الى ما اثارته دقة الشيخ وتشدده من مناظرات جمت بين حسن المناقشة وسوء المهاترة .

وقد كان لصاحب البحث جولة سريعة في اسلوب الشيخ لم يتوسع فيها لانصرافه الى تحديد قيمته اللغوية . واسلوب الشيخ ، كما لا يخفى ، اس شهرته الانشائية ، وأروع ما تركه من اثر في الادب العربي . ونحن لا نخال كاتباً عربياً منذ عهد ابن المقفع وبديع الزمان ادرك ما ادركه الشيخ من سرّ اللفظة المفردة في مجموع الجملة[1] . . .

---

١) راجع بحثنا في ذكرى الشيخ ابراهيم اليازجي في « البشير » ، ٢٨ شباط ١٩٦٧ .

ومما لفت نظرنا ، في هذا العدد الممتاز ، كلمة لخليل بك مطران حدّد فيها بايجاز بليغ فنّ اليازجي في جميع مآتيه ، فدعاه « مذهب الاتقان » . وكأنه اتمّ بهذا الدرس ما اشار اليه الاستاذ المعلوف ، في بحثه المذكور سابقاً ، من ميل الشيخ ميلاً طبيعياً الى الفنون الرفيعة كالموسيقى والشعر ، والتصوير ، والنحت ، وعلى الجملة الى كل ما يخرج الفكرة والعاطفة بالتمثيل الحسي الجميل . وهذا الميل لا يفرض الاختراع والابداع ، ولا يعتمد على السرعة والارتجال . ولهذا كان الشيخ « لا يخلق جديداً ولكنه يتقن ما يصنعه الى حدّ انك تعزوه اليه وتعرفه بطابعه . ولهذا لم ينظم مرتجلاً ، ولم يكتب الا محتفلاً . »

ثم نبذة للاستاذ جبران النحاس دعاها « الشيخ ابراهيم اليازجي وشعر ابي الطيب وطلوع الكواكب » اظهر فيها معرفة الشيخ بوعد طلوع السماك — والشيخ من علماء الفلك — وتطبيقه ذلك في شرح بيت المتنبي :

اذا سرنا وفي تشرين خمسٌ رأوني قبل ان يروا السماكا

شرحاً خالف فيه سائر الشرّاح لانهم لم ينتبهوا للمقصود بطلوع الكواكب .

وشاء الاستاذ انيس الخوري المقدسي ان يجعل من « اليازجي الشاب شاعراً قومياً » فوجد في شعره ابياتاً تدلّ على ذلك . الا انه « لم يدرِ تماماً متى أقلع عن السياسة وحصر جهوده في اللغة والادب . »

وختمت ابحاث المجلة بمقال اجمالي في « جهاد الشيخ ابراهيم اليازجي » للاستاذ ابي بكر الدمري ، وبمعلومات مفيدة في وفاة الشيخ وجنازته ، ونقل رفاته ، ونصب تمثاله ، وبثبت يكاد يكون كاملاً جمعه الاستاذ يوسف اسعد داغر في المصادر والمراجع لليازجيين في الادب العربي . اما القصيدتان فاولاهما للدكتور عبد المسيح محفوظ ضمّن فيها اشهر آثار اليازجي ، والثانية للاستاذ بديع فارس التارح ذرف فيها دمعةً عن كفرشيما بداعي الذكرى المئوية .

هذا عرض سطحي لمضامين العدد الممتاز الذي خصّ بالذكرى اليازجية . ولا يخفى ان كل ناحية من نواحي نشاط الشيخ تتطلب عدداً برأسه من الدرس والتمحيص . وقد اطلنا في هذا البحث لعلنا ندفع ادباءنا الى بذل

شيء من جهودهم هذه السنة في الابحاث اليازجية . ونحن على يقين ان الحكومة اللبنانية ستقيم اسبوع دراسات تتناول الشيخ ابراهيم معلماً ، ولغوياً ، ومنشئاً ، ومعرّباً لترجمة الكتاب المقدس ، وشاعراً ، على مقياس الشعر في مطلع القرن العشرين ، وذا مشاركة في مختلف العلوم جعلت منه صاحب اثر باق في نهضتنا الحاضرة . وليس بعيداً ان تجمع هذه الدراسات في مجلد واحد يدوّن اعتراف الحفدة بفضل السلف الصالح .

ومن الذكريات الادبية التي يجدر بنا احياؤها ، هذه السنة ، ذكرى مئوية اخرى لظهور اول جمعية علمية في الشرق المعاصر . هي « الجمعية السورية » التي انشئت في بيروت ، سنة ١٨٤٧ ، على يد المعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف اليازجي وبمساعدة المرسلين الاميركان ولاسيما الدكتور عالي سميث .

وتحتفل بيروت كذلك بذكرى مرور مائتي سنة على مولد شاعرها في القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر ، عنينا به السيد احمد البربير .

وهناك ذكرى الخمسين سنة على وفاة جمال الدين الافغاني ، من رجال النهضة السياسية والاجتماعية . وذكرى الخمسين كذلك على وفاة امين الشميّل ، صاحب المباحث الاشتراعية النفيسة ، ومؤسس اول مجلة قضائية في اللغة العربية .

قدّرنا الله على احياء ذكراهم خالدةً ، وعلى الاقتداء بهم في العمل الدائب والجهاد المخلص .

ظرفيات

ومن الاعداد « الممتازة » الظاهرة حديثاً عدد اصدرته مجلة « الهلال » في شهر حزيران . اما امتياز « المسرة » فكان احتفاء بالذكرى المئوية الاولى لمولد الشيخ ابراهيم اليازجي ، كما قلنا . واما امتياز « الهلال » فلا ندرك له سبباً ، الا ان يكون الرغبة في توجيه مصر « الى الامام ! » وفقاً للخطاب الوطني الذي افتتح به العدد رئيس التحرير احمد زكي بك ، ونظمه في مقطعات اربع خليل مطران ، والعوضي الوكيل ، واحمد الزين ، وحسن كامل الصيرفي . ولعل الشعار المذكور كان الدافع في تنظيم تلك

السلسلة من الآراء في عالم الغيب « كفتيات مصر بعد جيل» للسيدة امينة السعيد، و «المازني بعد عشرين سنة » للمازني نفسه ، و« اخلاق جديدة في عالم جديد » لاحمد امين ، وعاصمة الشرق العربي ، اي القاهرة ، كيف تكون غدا ؟ للاستاذ كمال اسماعيل ، ومساكن « المستقبل» عن مجلة « اميركان ويكلي »؛ و« وصايا الجيل الجديد » للاستاذ عباس محمود العقاد ، وافكه الافاكيه في موضوع الغيب هذا « الانسان بعد آلاف الاعوام » المنقولة عن مجلة « سينس دايجست » . يتخلل ذلك مقتطفات من الصحف الاجنبيـة ، ومقاطع لبعض كبار الكتاب،واحصائيات مصورة، وصور«ملونة لكواكب الغد» .—وليست الكواكب هنا من عالم الفلك ، على رغم انتظامها بالهلال ، انما هي من عالم هوليود — وقصص ، وحكايات ،واهاجي ،وحزازير، واكتشافات بهيجة، كذلك الطعام العجيب الذي « يتغذى به المخ» « فيصبح الاغنياء اذكياء» ، وغير ذلك من الفكاهات والنوادر التي يطلع عليها الصديق المجامل، فيقول قول الاستاذ عباس محمود العقاد :« الهلال يُيسّر المعارف ولا يبتذلها » ، ويمعن فيها الناقد البصير فيقول : رحم الله جرجي زيدان !

ومن الابحاث الهلالية، في هذا العدد ، موضوع يدعو الى التأمل والاهتمام الرصين ، وهو ترجمة القرآن . هل تصح هذه الترجمة ، وما هي شروطها ؟ وهل تكون حرفية ام معنوية ام تفسيرية ؟

وهل يجوز ان يبقى كتاب كالقرآن ، يستند اليه مئات الملايين في حياتهم الدينية والاجتماعية ، ولا ترجمة قانونية له في اللغات الاجنبية ؟

كلها اسئلة تحمل على التفكير والمقايسة بين ملكات اللغات المختلفة ، وتقدير ما قد ينقص من روعة الاثر بنقله ، وهل يعدل هذا النقص المكن حرمان الفائدة من ترجمة الكتاب؟ كان منتظراً من«الهلال» ، وقد عمد لمثل هذا الموضوع الخطير ، ان يفيه حقه من جميع الجهات . الا انه طرح السؤال على من لا يعرف الا اللغة العربية ، وهو الشيخ محمد عبداللطيف دراز ، مدير عام الازهر الشريف ، فكان من حسن ادبه ان اعتذر بلطف عن الكلام في صلب الموضوع ، واخذ يحدد لغوياً كلمة الترجمـة ، ويحكم حكماً عاماً

بانه « اذا كان المعنى قريباً من الاصل كانت ترجمته صحيحة ، وان لم يكن قريباً من الاصل كان كلاما لغواً ، وكانت ترجمته فاسدة . » (كذا !)

❁

ومن المنشورات الظرفية مجموعة خطب ومقالات عاطفية القاها وكتبها في مناسبات مختلفة الاستاذ نبيه امين فارس ، ونشرتها له «دار العلم للملايين» في بيروت ، بعنوان « العرب الاحياء »[1] . والكتاب لطيف المظهر ، خفيف المحضر ، يكاد يكفي الابتدائيين في تغذية بعض العواطف . الا ان الباحث الجادّ لا يسعه الا تحقق الضعف التاريخي والاضطراب العلمي في فرضيات المؤلف ، والتعامي عن وقائع الامور ، وذاك الميل الساذج الى فرض التاريخ كما يريده الكاتب لا كما كان في الحقيقة .

❁

وفي بيروت مجلة اسمها « صوت المرأة » تنشرها جامعة نساء لبنان ، وتحاول ان تجمع فيها ، في مظهر أنيق ، ما يؤول الى تسلية المرأة وافادتها . بيد ان كثرة المقالات « الرجالية » فيها دفعت بعضهم الى استخشان هذا « الحسّ » فقالوا ان تنعم المجلة اقرب الى « صوت الرجل » منه الى « صوت المرأة » . وكأنهم تجاوزوا الحكم الى القول ان « ليس في لبنان اديبات » . فقامت المجلة تردّ عليهم في مطلع عددها الاخير . ونشر رئيس تحريرها — وهو رجل — صفحةً قال فيها « ليس في لبنان ادباء » . وهكذا خلت الساحة من المتبارزين !

استدراكات

ان يكن صحيحاً القول المأثور : « وصاحب البيت ادرى بالذي فيه » . فقد يكون صحيحاً كذلك ان المراقب عن بعد ، وان غريباً ، يتناول بملحاته الفسيحة ، ونظراته العميقة ، من شمول البحث ودقة الدرس ما قد يفوت صاحب البيت نفسه . هي حالة بعض المستشرقين في درس شؤوننا ، اذا ما خلصت منهم النية ، وصحت المعرفة ، واستقام الحكم . وقد لا نعدم في كلامنا اليوم ، امثلة على ابحاث هؤلاء العلماء نذكرها نشراً لفضلها ، ودلالةً

١) ١١٢ صفحة صغيرة ، بيروت ، ١٩٤٧ .

لني قومنا على بعض مظان في شؤون تهمهم وتفيدهم.

ونبدأ بالاشارة الى كتاب في المدخل الى اللاهوت الاسلامي (*Introduction à la théologie musulmane*) يعده لويس غارديه (L. Gardet) بمعاونة الاستاذ قنواتي . وقد اقتطع منه نحو الثلاثين صفحة نشرها في مجلة « ديار الاسلام » (*En Terre d'Islam*) الصادرة في ليون ، اربعة اجزاء في السنة . والمقال يقع في اول الجزء الاول من سنتها الحاضرة [1] . اما موضوعه فأدلة النقل وادلة العقل في اللاهوت الاسلامي ، تناول فيه الباحث المذاهب الكلامية التي نشأت في الاسلام منذ عهد المعتزلة الى الاشعرية والماتريدية ، وما اثرته في الاولى نظريات القاضي الباقلاني ، الى رد الفعل الحادث على اثر انتشار الآراء الفلسفية على يد الفارابي وابن سينا ، الى بناء الغزالي ، الى مؤلفات الرازي والتفتازاني والجرجاني ، حتى ينهي الطواف برسالة التوحيد للشيخ محمد عبده . يدقق في كل ذلك مستخرجاً التحديدات والشروح في علمي التفسير والكلام ، مناقشاً قيمة الاحاديث ، معدداً المبادئ الصالحة في استخدام الاحاديث مصادر للتفسير او اصولاً للفقه ، مشيراً الى قيمة « الخبر » ، والى نصيب الاجماع من اصول الفقه ، منتهياً « بالعقل » ودوره في اقرار النظر والقياس والرأي والعُرف . كل هذا في اسلوب سهل واضح طالما عوّدناه غارديه في ابحاثه عن الغزالي خاصة ، وتساوق العقل والايمان في فكرته .

ولا نشك في ان مريدي هذه الابحاث الفلسفية اللاهوتية يسرّون اذا اعلناهم بقرب ظهور المجلد الثالث من كتاب ابن رشد في « تفسير ما بعد الطبيعة لارسطو » الذي يُعنى باخراجه في المطبعة الكاثوليكية ، على اتمّ ما يمكن من التدقيق العلمي والتجهيز النقدي ، الاب موريس بويج اليسوعي (M. Bouyges) ، اشهر من يُذكر اليوم في نشر نصوص الفلسفة الاسلامية ، وذلك منذ السنة ١٩٣٨ ، وفيها اصدر الجزء الاول في ٥٠٤ صفحات ،

(١) Louis Gardet, *Arguments d'autorité et arguments rationnels en théologie musulmane.* — *En Terre d'Islam*, 3e série, n° 37. 1947, 1er trimestre, p. 3-29

ثم اصدر الجزء الثاني سنة ١٩٤٢ في ٨١٤ صفحة، واخيرا هذا الجزء الثالث في نحو الالف صفحة، مشتملا على الفهارس الواسعة، والمقابلات بين جميع الروايات في المخطوطات المختلفة، مع الاشارات الى الترجمة العربية الاصلية التي استند اليها ابن رشد في شرحه، والى ما يقابلها من نص ارسطو. يظهر ذلك لاول مرة، فينيل الاختصاصيين بهذه الموضوعات مادة من اصح المواد واضبطها اخراجاً، ويلقي على عمل ابن رشد ضوءا جديداً يزيد في قيمة ذاك الذي عرفه الغرب باجمعه، في القرون الوسطى، باسم «الشارح» على الاطلاق.

نضيف الى هذه الابحاث درساً عميقاً للدكتور زويمر الشهير في مجلة «العالم الاسلامي» (*The Moslem World*) اسماه «الله الاسلام والاله الموحى بيسوع المسيح.»[1] تتبع فيه فكرة التوحيد في نظر المسلمين من النصوص القرآنية حتى الاحاديث، حتى التفاسير المتأخرة.

ولا ينحصر النشاط الاستشراقي الحاضر في عرض العقائد اللاهوتية او نشر النصوص الفلسفية، انما هو يتناول جميع مظاهر الحياة الشرقية دينية كانت او ادبية او اجتماعية. ومن اهم المجموعات الحديثة في تسهيل معرفة الشرق الاسلامي خاصةً مجموعتان انشئتا في باريس:

الاولى برعاية «معهد الدروس الاسلامية» في جامعة باريس وعنوانها «التمهيد الى فهم الاسلام» (*Initiation à l'Islam*) ظهر فيها حتى اليوم خمسة مجلدات:

١ً — المدخل الى تاريخ الشرق الاسلامي، بقلم جان سوفاجيه.

٢ً — محمد: حياته وعقيدته، منقولاً الى الفرنسوية عن كتاب تور اندريه (Tor Andrae) بقلم جان غودفروى دي مومبين (J. Gaudefroy-Demombynes)

٣ً — تاريخ الترك في آسية الوسطى منقولاً الى الفرنسوية عن تأليف بارتولد (W. Barthold) بقلم السيدة دونسكيس (Mme M. Donskis)

٤ً — المدخل الى درس تطور اللغات السامية، بقلم الاب هنري فليش اليسوعي (P. H. Fleisch)

---

(١) Dr S. M. Zwemer, *The Allah of Islam and the God revealed in Jesus Christ.* — *The Moslem World*, october 1946.

واخيراً « مؤرخو العرب »[1] : صفحات مختارة ترجمها وعلق عليها جان سوفاجيه . وهي تتناول ٣٢ نصاً لاربعة وعشرين مؤرخاً من العصر العباسي الاول الى آخر عهد المماليك في مصر ، فتصور حياة البلاط ، واخلاق الخلفاء والامراء في اوقات جدهم وساعات لهوهم وعبثهم ، ومآسي القصور ، واحوال الجنود ، وتنظيم الادارات ، ووصف الولايات والامصار ، والحواضر ، والجوامع . وتنبغي الاشارة الى ان المؤلف لم يجهد فكره في اختيار اروع النصوص تأليفاً وارشقها اسلوباً . بل كان رائده العلم لا الادب فمثل مختلف الاساليب ، وشتى الطرق . وقدم على كل نص درساً موجزاً كافياً في حياة المؤرخ ، وتحديد طريقته ، وقدر قيمته .

والمجموعة الثانية تنشر بادارة ليفي—بروفنسال (E. Lévi-Provençal) الاستاذ في السوربون . عنوانها « اسلام الامس واليوم » (*Islam d'hier et d'aujourd'hui*) وغايتها ان تعرض للاختصاصيين ، ولغير الاختصاصيين ، سلسلة من الابحاث الرصينة في العالم الاسلامي : ماضيه وحاضره : في الادب والتاريخ والمجتمع ، وتطور الفكر ، يقوم بتدوينها جماعة من كبار علماء الاسلاميات في فرنسة . ويظهر منها قريباً ، ان لم يكن قد ظهر : « المدنية العربية في اسبانية » ، و « اشبيلية الاسلامية » للاستاذ ليفي—بروفنسال نفسه .

وقد تناولنا مؤخراً في المجموعة نفسها ، الجزء الاول من كتاب المستشرق بلاشير في ترجمة القرآن الى الفرنسوية[2] ، في اكثر من ثلاثمائة صفحة مخصصة للمقدمة وحدها . والحق يقال انه لجهدٌ جدير بكل تقدير يبذله الاستاذ بلاشير في درس المصحف درساً تاريخياً ، بادئاً بتحديد الموضوع ، معدداً الاسانيد التي من شأنها ان تفيدنا في درسه وشرحه ، منتقلاً الى بحث الكتابة والخط في الجزيرة العربية في فجر الاسلام ، مشيراً الى كتبة النبي ، والى ما كان

(١) J. Sauvaget, *Historiens arabes*, pages choisies traduites et présentées, 1 In.8°, 192 pp., Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien Maisonneuve, Paris, 1946.

(٢) R. Blachère, *Le Coran*. Traduction selon un essai de reclassement des sourates. Introduction. 1 vol. in-12, LIX + 273 pp., Librairie orientale et américaine. Paris, 1947.

يكتنف الكتابة في ذاك الزمن من نقائص فنية تجعل المستند الاساسي لحفظ الاثار انما هي الذاكرة .

وينتقل الى البحث في هل جُمع القرآن في حياة النبي ، فيناقش عنوان فصل من فصول ابن سعد : « ذكرُ من جمع القرآن على عهد رسول الله » فيشير الى ان «الجمع» هنا لا يفيد ضرورةً ما ننبه اليوم من تدوين الاثر كله بالكتابة . انما معناه الارجح ان يكون الحفظ عن ظهر القلب ، فيكون معنى الفصل : « ذكر من كان يحفظ القرآن باجمعه على عهد رسول الله » . ويشير الى فرضية المستشرق كازانوفا المعلل عدم جمع القرآن في عهد النبي بانتظار المسلمين الاولين قيام الساعة قريباً .

ثم ينتقل الى ذكر المجموعات الاولى، فالى محاولة ابي بكر، فالى مصحف عثمان، مدققاً في خصائصه متتبعاً انتشاره ، ذاكراً ما أُدخل عليه من التحسينات الخطية كالاعجام وعلامات الاعراب لمزيد الضبط، وتلافي الاشكال والالتباس. وكان طبيعياً ان يقوده هذا الموضوع الى درس القراءات المختلفة فخصّ بها بحثاً واسعاً درس فيه ميزات القراء السبعة ، والعشرة ، والاربعة عشر ، مشيراً الى افضلية السبعة الاولين.

وتطرّق من ذلك الى وصف المصحف في حالته الحاضرة من حيث الاقسام، سوراً وآيات ، ومن حيث بعض الاصطلاحات الاملائية والاعرابية ، ثم من حيث الانشاء .

وبعد ان يذكر ما يقوله المعتزلة والخوارج في مصحف عثمان ، وموقف الشيعة منه ، ينتقل في فصل اخير واسع الى مصادر الدروس الاستشراقية في علوم القرآن : منها ما يؤخذ من علم القراءات ، ومنها ما ينيله علم التفسير ، فيتضافر العلمان على تسهيل فهم النصوص القرآنية . وينتهي بذكر الاساليب التي سار عليها بعض العلماء من المستشرقين في تأريخ السور والآيات مستندين احياناً الى « اسباب النزول » والى نظرية « الناسخ والمنسوخ » ، مستنتجين احياناً اخرى تاريخيّة النصّ مما يحمله من تلميحات واشارات الى بعض الاحداث السابقة او المعاصرة . وهكذا تمكن موير (Muir) وسبرنغر (Sprenger)

الانكليزيان ، وويل (Weil) ونولدكه (Nöldeke) وشوالي (Schwally) الالمانيون من محاولات تأريخية في ترتيب السور والآيات ، استفاد بلاشير من جميعها ، واضاف اليها ملاحظات خاصة فرتب اقسام المصحف على اقرب ما يمكن من التسلسل التاريخي ، ثم قام بنقلها الى الفرنسوية نقلاً كلفه الجهد البالغ والعمل الدائب .

وسيخرج النقل قريباً في مجلدين يردفهما بمجلد خاص بالتعليقات والملاحظات . فيكون عمله ، في المجلدات الاربعة ، افضل أثر يظهر في القرآن بلغة اجنبية .

۞

ولم تُعدم الحياة البدوية نصيباً في ابحاث المستشرقين الاخيرة فقد حمل الينا بريد هولندة ما دلنا على ان الحركة الاستشراقية لم تتوقف فيها حتى في اشد ازمنة الحرب حرجاً ، فصدر في ليدن الجزء الاول من كتاب نفيس للاب هننغر (Henninger) الالماني[1] في موضوع العائلة الاصيلة في البيئة البدوية ، خصّه بجمع المعلومات والوثائق والنصوص المتعلقة بالحياة البدوية في عصرنا ، راقياً منها الى العصور السابقة التي تقوده الى درس حالة العائلة الاصيلة في الشعوب السامية . على انه يحصر تحرياته ، في هذا المجلد ، بالبدو الرحّل من رعاة الابل ، ورعاة الغنم ، الضاربين في بلاد العرب وما جاورها من العراق وشرقي الاردن ، اولئك البدو الذين اخذت تتكاثر المعلومات عن طرق معيشتهم منذ رحلة نيبوهر (Niebuhr) في اواسط القرن الثامن عشر (١٧٦١–١٧٦٥) الى اليوم . حتى ان المؤلف امكنه ان يستغل ٥٥٣ مصدراً ، فيوضح كثيراً من النقاط الغامضة في حياتهم العائلية والقبلية والاجتماعية والاخلاقية والقضائية في السلم والحرب ، والحلّ والترحال . على ان هناك نقاطاً كثيرة لا تزال بحاجة الى حلّ او ايضاح . من ذلك ما يتعلق باثر المرأة في المجتمع البدوي ، وهل يمكن الدفاع عن زعم القائلين بحق « الام » ، منذ ان اعلن ولكن (Wilken) نظريته بسيادة « الامومة » في المجتمع البدوي الاصيل ! ؟

---

(١) D^r Josef Henninger, s. v. d., *Die Familie bei den heutigen Beduinen Arabiens und seiner Randgebiete. Ein Beitrag zur Frage der ursprünglichen Familienform der Semiten.* VIII + 188 pp., 1 carte. E. J. Brill, Leyden, 1943.

ومن الابحاث في الشؤون البدوية درس الاب دي دنفيل (P. de Dainville) في مجلة «العالم الاستعماري المصور» (*Le Monde Colonial illustré*, N° 209, oct. 1946) بعنوان « على ضفة الفرات » لخص فيه اهم تحقيقات الاب شارل اليسوعي واستنتاجاته المدونة في كتابين مهمين خص الاول منهما بدرس حياة القبائل رعاة الغنم في منطقة الفرات الاوسط ، والثاني بمحاولات تحضير البدو بين الفرات والبليخ[1] . ولا يخفى ما تنتج هذه المحاولات من ارتفاع في مستوى المجتمع السوري عامة .

❁

وتكاد افريقية تحتل القسم الاوفر من النشاط الاستشراقي في يومنا ، فتتوالى الكتب والابحاث في مراكش ، وسائر المغرب ، والصحراء ، والسودان .

من ذلك كتاب قيم ظهر في الدار البيضاء . وشاء تواضع المؤلف ، القومندان روبر أسبينيون (Aspinion) ان يسميه « مساهمة في درس الحق العُرفي البربري المراكشي »[2] . وهو في الحقيقة مجموعة ثمينة لاختبارات المؤلف في حياة ليست بالقصيرة قضاها بين قبائل زيّانة في جبال مراكش ، فدرس عاداتهم ، واهتم خاصة باساليبهم القضائية في الفصل بين الخلافات على طريقة العرف والعادة الجارية منذ الاحقاب الطويلة . فاولانا فكرة واضحة عن مدلول العدل ومظهر القضاء في تلك المنطقة ؛ واولى ارباب الاختصاص بالشؤون الشرعية والقضائية مجموعة من المستندات ذات قيمة لا يستهان بها .

وهناك كتاب لهنري بوردو نشره في باريس بعنوان « وجه مراكش »[3] . وليس هنري بوردو مستشرقاً ولا دارساً . مطامحُ الاطلاع الكافي على حياة الشرق

(١ H. Charles, s. j., *Tribus moutonnières du Moyen-Euphrate.* — *La sédentarisation entre Euphrate et Balih.*

(٢ C Robert Aspinion, *Contribution a l'étude du droit coutumier berbère marocain.* In-8°, 303 pp. Ed. A. Moynier, Casablanca. 1946.

(٣ Henry Bordeaux, *Le visage du Maroc.* In-8°, 310 pp., Colbert, Paris, 1945.

وشؤونه . الا انه كاتبٌ لبق ، وراوية لطيف السرد ، شائق الاسلوب . شاء ان يظهر فضل فرنسة على النهضة المراكشية . فاظهره الى ما وراء الحد . حتى تجاهل كل المشاكل الحاضرة التي يثيرهـا الحكم الاستعماري . فكان كتابه متفاوت القيمة ، بعيداً في الجملة عن الواقع الحالي .

اما الصحراء فكان من نصيبها كتاب جميل لجوزف تيرول (Therol) دعاه « شهداء الرمال »[1] احياء لذكرى من قضى في سبيل الانسانية والواجب في تلك الصحاري الافريقية اما قتلاً ، واما تشريداً ، واما بالكوارث الطبيعية المختلفة . فوصفهم وصور مصارعهم باسلوب جذاب ، منذ عهد الآباء البيض في ما بين السنة ١٨٧٦ والسنة ١٨٨١ ، الى فلاتير (Flatters) ورفاقه في سنة ١٨٨١ ؛ الى المركيز دي موريه (Morès) (١٨٩٦) الى الاب شارل دي فوكو الشهير (de Foucauld) (١٩١٦) الى الجنرال لابيرين (Laperrine) (١٩٢٠) ، مشيراً الى ما نتج من تضحياتهم من خير شمل سكان تلك الصحاري خاتماً بالقول المأثور : « ان حبة الحنطة ان لم تقع في الارض وتمت لا تأتي بثمار كثيرة » .

وينبغي ان نشير ، في كلامنا على افريقية الشمالية ، الى درس شامل نشره جاك لوفرانك (Lefranc) في مجلة « الكاهنة » (*La Kahena* n° 5, 1er semestre 1946) الصادرة في تونس وصف فيه تطور الحركة العقلية في تلك البلاد بين الحربين العالميتين ، مهتماً خاصة بمظهرها الادبي .

واما السودان فآخر ما وقفنا عليه بشأنه بحث لجامع لورت ماك كريري (Ruth Mack Creery) عنوانه « المسلمون والوثنيون في السودان الانكلو-المصري » ظهر في مجلة « العالم الاسلامي » السابقة الذكر (*The Moslem World*, July 1946.) ، وتناول تحديد بلاد السودان والفروق البارزة بين جنوبيها وشماليها في الدين والعادات والاخلاق .

ولم يفت امبركة الاهتمام المتابع بشؤون الشرق . فقد انشأت مؤسسة

[1] Joseph Therol, *Martyrs des Sables*. In-12, 288 pp., 1 carte. Publications Techniques et Artistiques, Paris.

الشرق الاوسط في واشنطن مجلة جديدة دعتها « مجلة الشرق الاوسط » (*The Middle East Journal*) تحمل الى قرائها كل ثلاثة اشهر اهم ما تفيدهم معرفته من شؤون الشرق ومشاكله .

وكذلك جاءنا عن اسبانية ان مجلة «الاندلس» الاستشراقية الشهيرة في مدريد استأنفت صدورها بادارة الاستاذ غرسيا غومس (Garcia Gomez) الذي مرّ مؤخراً في بيروت .

۞

وقد كان بودنا ان نتوسع في التعليق على بحث طويل نشره في « ديار الاسلام » پيير روندو (Pierre Rondot) الاختصاصي بالسياسة الشرقية ولاسيما ما تعلق منها بمشاكل الاقليات ، وخصه بالپاكستان . الا اننا نكتفي الآن بالاشارة الى ان لفظة پاكستان لم تعرف بها منطقة ما من مناطق الهند . فهي ليست من الاسماء الجغرافية . انما هي كلمة اصطلاحية مشتقة منحوتة من اسماء خمس مقاطعات هندية ذات اكثرية اسلامية وهي : پنجاب ، وافغانية ، وكشمير ، والسند ، وبلوخستان . أخذ حرف الپاء من الاولى ، والالف من الثانية ، والكاف من الثالثة ، والسين من الرابعة ، وألف بينها مختومة « بتان » الخامسة فقيل « پاكستان » . واما عدد المسلمين في مجموع المقاطعات الخمس فيبلغ ٥٧،٧٠٠،٠٠٠ على مجموع من السكان يبلغ ٩٥ مليوناً . واما مستقبل هذه الدولة ففي ذمة الغيب . على ان ذوي النظر في الشؤون السياسية الشرقية يرجحون ، اذا ما تحققت الپاكستان دولةً مستقلةً ، ان ينحرف محور السياسة الاسلامية من الشرق الادنى الى الشرق الاقصى .

۞

ويؤلمنا في آخر هذا البحث الخاص بنشاط المستشرقين الحاضر ان نشير الى الخسارة الجسيمة التي مُنيت بها الاستشراق بوفاة جاك ويلرس (Wiet Jacques) في الاربعين من سنيه . عرفناه في بيروت مهتماً بالدروس الشرقية على مختلف انواعها ، راغباً في الرحلات الاستكشافية ، مرتاداً كثيراً من مناطق افريقية فآسية ، ناشراً عدداً من الابحاث القيمة مثل « السودان والبيضان » (١٩٣١) « افريقية السوداء » (١٩٣٣) « بلاد الملويين » (١٩٤١) « نهر العاصي » (١٩٤١) « فلاحو سورية والشرق الادنى » (١٩٤٦) . رحمه الله رحمة واسعة !